

عنوان البحث:

اثر عوامل البيئة الطبيعية والثقافية على الخصائص المعمارية والتخطيطية لمساجد السليمانية.

The Effect of the Natural and Cultural Environments Factors on the Architectural and Planning Characteristics of Sulaymaniyah Mosques.

الباحث: د. امجد محمد علي محمد

تندرج معظم المساجد والجوامع في العالم الاسلامي تحت نماذج وانماط محددة ومعروفة الى حد كبير، وكانت تلك الانماط قد نمت وتطورت من نماذج اساسية قليلة وموحدة، تغيرت شيئا فشيئا بسبب تاثيرها بمزيج من المتطلبات الوظيفية والثقافية المتغيرة هي الاخرى بسبب متغيرات الزمان والمكان، لتشكل مجموعة الانماط المعروفة والمشهورة في يومنا هذا عبر اجزاء العالم الاسلامي وحدوده.

ولم يشدَّ عن هذه الانماط الا اعداد قليلة من المساجد التي ربما كانت نتاج تجارب شخصية او قرارات ارتجالية، او استجابة لمؤثرات محددة او مؤقتة. الا ان ظهور نمط محدد لا ينتمي الى اي من تلك الانماط، بل ويخالفها في اسمها التصميمية والتخطيطية، وانتشار هذا النمط الجديد - الغريب - في مساحة شاسعة، وظهوره وتميزه بشكل واضح وملفت للنظر، لهي حقا ظاهرة واشكالية جدية بالانتباه والدراسة والتقصي. وكان ظهور مشكلة هذا البحث هي من خلال ملاحظة نمط معين من المساجد اتصف باختلافات واضحة في سماته التخطيطية العامة -كتركيبة توزيع الفعاليات في مخططات تلك المساجد-، وتفصيله المعمارية الشكلية -

الخارجية والداخلية-، وتشكيله الوظيفي كطبيعة علاقة المكونات الوظيفية لتلك المساجد مع بعضها-، بشكل يميز هذا النمط من المساجد تماما عن اي نمط معروف من انماط المساجد الشائعة في عموم العالم، والعالم الاسلامي خصوصا، وضمن منطقة معينة -هي محافظة السليمانية، (وفي مركزها تحديدا) ولفترة زمنية محددة دامت لعقدين او ثلاث. ومن هنا كانت فكرة هذا البحث في دراسة نمط مستحدث تخطيطيا ومعماريا لمساجد وجوامع تحمل معالم تميزها عن الانماط المعتادة للمساجد، اذ يحاول هذا البحث معرفة الاسباب والمتغيرات التي دعت الى ظهور مثل هذا النمط، مفترضا مجموعة من المؤثرات الثقافية والطبيعية سببا لهذه الظاهرة الملفتة. معتمدا على دراسة نماذج وعينات مختارة عشوائيا من تلك المساجد المحددة بالفترة الزمنية التي يحددها البحث لدراستها من خلال الدلالات الاحصائية من جهة ودراسة المحددات التصميمية في تلك النماذج من جهة اخرى وذلك لمعرفة اكثر العناصر تأثيرا في احداث تلك التغييرات التي ولدت مشكلة هذا البحث. والتي ادت الى ظهور هذا النمط الفريد الذي ميز مساجد هذه المنطقة عن سواها من المساجد في العالم الاسلامي.

e-mail .. garadaqi@yahoo.com /هـ/07701557666-

العنوان : القسم المعماري-كلية الهندسة - جامعة

السليمانية



distinguish this style of mosques of any known pattern of common patterns of mosques throughout the world, and the Islamic world in particular, and within a certain area which is province of Sulaymaniyah, and in particular its position and a specific time period which lasted for two or three decades. Hence the idea of this research to study the pattern of an updated planning and architecture of mosques bearing the features that distinguish them from normal patterns of mosques, as this work attempts to ascertain the causes and variables that called for the emergence of such a pattern, assuming a range of cultural influences and natural reasons for this phenomenon based on the study of models and samples selected randomly from those mosques in the period of time specified by the search for the consideration of the statistical implications on one hand and the study of the determinants of design in those models on the other hand and that to know the most influential elements in causing these changes that generated the problem of this research which led to the emergence of this unique style that characterized the mosques of this region from other mosques in the Islamic world.

The Effect of the Natural and Cultural Environments Factors on the Architectural and Planning Characteristics of Sulaymaniyah Mosques.

Researcher: Dr. Amjad Mohamed Ali
Mohamed

Most of the mosques in the Islamic world fall under specific and known forms and patterns to a large extent, and such patterns have grown and evolved from the few basic and uniform models, but they changed slowly due to the impact with a mixture of changing functional requirements and cultural landscapes because of the variables of time and place to form patterns known and famous in this day across parts of the Islamic world and its borders. There was no exception to these patterns, but small numbers of mosques that were probably the result of personal experiences or improvisational resolutions, or in response to specific or temporary stimuli. However, the emergence of a specific pattern which does not belong to any of these patterns, but opposes it in founded design and planning, and the spread of this new style - surprisingly - in a vast area, and its appearance clearly and strikingly , is really visible phenomenon worthy of attention, study and investigation. The emergence of the problem of this research is by observing a specific pattern of the mosques characterized by differences evident in the features of the general planning - a combination of the distribution of events in the schemes of the mosques - and the details of architectural form - external and internal - and its functional formation such as the nature related to functional components of those mosques with each other which

المقدمة

وقد افترض البحث ان:

1 - عوامل البيئة الثقافية والطبيعية معا هي مؤثر رئيس في ظهور معالم هذا الطراز المختلف والفريد في هذه المنطقة المحددة.

2 - وان تأثيرات هذه التغيرات في مساجد السليمانية والتي تسببها التأثيرات الثقافية والطبيعية في عناصر المساجد التخطيطية والمعمارية، قد لا تكون بالضرورة ايجابية، بل انها قد تسبب مشاكل يفوق تأثيرها النتائج الايجابية لهذا التغيير.

وانتهج البحث في سبيل اثبات فرضياته منهاج عمليا عبر الملاحظة والاستقراء المباشر من خلال استعراض ودراسة مخططات ومعالم ومشاهد عدد من هذه المساجد وكذلك دراسة مايتوفر عنها من معلومات وبيانات، لتأكيد وتركيز نقاط اختلاف المظاهر المميزة لهذه المساجد عن باقي طرز المساجد في العالم الاسلامي.

خصائص المساجد و انماطها:

تتباين المساجد في تصاميمها وتفصيلها ككتابين بيناتها ومناطق نشوءها، وبالرغم من ان المساجد تاخذ ملامحها من العناصر المعمارية المحلية حيثما كانت، فانها لا تقتأ تحتفظ بمكوناتها الاساسية التي تكونت منها تلك المساجد عند بداية تكونها اذ ان المرجع الاساس لأنواع المساجد يعود في صورته العامة إلى تصميم واحد لم يتغير حتى الآن للمساجد والجوامع - من الناحية الوظيفية على الاقل - ، وهذا التصميم هو على غرار المسجد النبوي" والذي تكون من مستطيل بسيط يتوسطه صحن مفتوح إلى السماء تحيط به من اربعة جوانب أروقه مغطاة أهمها وأكبرها رواق القبلة. وتطور ذلك لنموذج شيئا فشيئا لتتضح فيه معالم المساجد المعاصرة فظهر فيه المنبر وحدد فيه موقع المحراب ليتشكل فيما بعد بصورته النهائية. (مؤنس ،1982،ص86) وباعادة تشكيل هذه العناصر وتغيير توزيعها واحجامها تولدت انماط ونماذج كثيرة من المساجد والجوامع. وتباين منظرو العمارة في اسس واساليب تصنيف طرز المساجد في العالم الاسلامي، ففيهم من صنفها

تعد المساجد من المكونات الاساسية في بيئة المدن الاسلامية في جميع انحاء العالم. وتميزت تلك المدن بمساجد وجوامع اخذت صفاتها من بيئة المناطق التي نشأت فيها، مضيفة تلك الصفات والعناصر الى مكوناتها الاساسية التي كونت بمجموعها ما عرف على مدى العصور بطرز المساجد. وكانت تلك المساجد، بطرزها المختلفة، عناصر معمارية حية زادت وعمقت القيم المعمارية حيثما نشأت وكانت. مؤثرة ومناثرة بالبيئة العمرانية المحلية وعناصرها التخطيطية والمعمارية المتأثرة هي الاخرى بالقيم المادية والمعنوية للبيئة الام. وفي مدينة السليمانية حالها حال اية مدينة اخرى بناها المسلمون فانها تعج -منذ تاسيسها- بعدد كبير من المساجد والجوامع المتنوعة والمتباينة، والتي تنافس مؤسسو هذه المدينة في بناءها وصيانتها والاهتمام بها. ومن هنا نشأت المساجد في هذه المدينة متبعة الى حد ما الطرز المعروفة للمساجد في العالم الاسلامي والبسيطة منها بالذات، واستمر الحال على ذلك الى ان ظهر في مدينة السليمانية ومجاورتها طراز غريب ومميز لايشابه الطرز المعروفة لمساجد العالم الاسلامي الا في بعض الجوانب الاساسية المتعلقة بوظيفة المسجد الاساس (الصلاة) ومختلفة عن باقي الطرز بمجموعة كبيرة واساسية من المعالم والعناصر. بشكل يثير الانتباه والتساؤل. ومن هنا بدأت فكرة هذا البحث وموضوعه الذي ركز في دراسة هذا النوع المحدد من المساجد دون غيره محاولا الوصول الى اسباب نشوء هذا الطراز وتفسيرها لاعطاء صورة واضحة لظاهرة غريبة لايبداوا انها شملت باي دراسة قبل هذا البحث.

ومن هنا تكون مشكلة هذا البحث هي: ظهور مجموعة من الاختلافات التخطيطية والمعمارية في مجموعة كبيرة من المساجد في مدينة السليمانية تخالف بشكل والطرز والانماط المعروفة للمساجد حول العالم.

ويهدف البحث الى تحديد اسباب ظهور هذا النمط المختلف من المساجد في هذه المنطقة المحددة . وكذلك معرفة الجوانب الايجابية والسلبية التي يمثلها هذا الطراز من المساجد.

وفقاً لتاريخ ظهورها، ومنهم من صنفها وفق أماكن ظهورها، أو وفق أشكالها ومخططاتها ووفق مكمالاتها الشكلية والمعمارية. (Hillenbrand, 2000, p31). ولعل أكثر التصنيفات شمولية هي التي تصنف طرز المساجد الأساسية إلى لاصناف الآتية.

1 - النموذج النبوي) المسجد النبوي فناء مستطيل مع رواق على جدار أو أكثر.

2 - النموذج ذو المجاز القاطع: على غرار النموذج النبوي إلا أن رواق القبلة يقطعه مجاز قاطع عمودي عليه في وسطه وفي محور القبلة ويعلو سقفه عن رواق القبلة. (الطرز الأموي المسجد الأموي في دمشق)

3 - النموذج ذو الاكتاف البنائيه: على غرار النموذج النبوي ولكن الأعمدة إختفت نهائياً من الأروقة وحل بدلاً منها، أكتاف بنائية من الطوب أو الحجر. على غرار جامع احمد بن طولون في القاهرة. (الطرز العباسي)

4 - النموذج ذو الايوانات: تحيط بالفناء من جانبيين أو أكثر إيوانات مفتوحة على الصحن. مثل الجوامع المملوكية والايوبية في مصر . وكذلك المساجد الصفوية في ايران.

5 - النموذج ذو الفراغ الداخلي الكبير الواحد" ذو القبلة المسيطره مع عدد من القباب الثانوية حول القبلة المركزية. (الطرز العثماني).

6 - المساجد المعلقة، حيث يحتل المسجد الدور العلوي من مبنى يحتل الدور السفلي منها متاجر يصرف ريعها لمنفعة المسجد. وهذا الطراز شائع في مصر وتركيا. (عبد الفتاح، 1979، ص64).

ويصنف عبد الواحد الوكيل طرز المساجد إلى أربعة اصناف رئيسية.

1 - المساجد ذات الصحن المركزي. واليه تنتمي معظم المساجد التي بنيت في العصور الإسلامية المبكرة.

2 - مسجد المدرسة والايوان مثل مسجد السلطان حسن بالقاهرة.

3 - مسجد القبلة المركزية مثل مسجد السلطان احمد في

اسطنبول.

4 - المسجد المركب ويشتمل على سطح تفتح عليه أربعة ايوانات اكبرها هو مدخل قاعة الصلاة المسقفة التي تعلوها القبلة الرئيسية، ومن امتثلتها مسجد الشاه في اصفهان بايران. (الوكيل، 1987، ص22). الشكلان (أ و ب)

ومن الدراسة الدقيقة لخصائص ومكونات هذه الطرز و الطرز الثانوية الأخرى التي انتشرت في روع العالم الإسلامي يظهر ان المكونات الأساسية هي ذاتها في كل نماذج المساجد، فعلى سبيل المثال فان علاقة المصلى (بيت الصلاة) مع صحن المسجد الرئيسي هي ذاتها لا تتغير- اذ يقع المصلى دائماً في الجهة القبلية من الصحن-، وكذلك فان مبدا توقيع مداخل بيت الصلاة هي الأخرى لا تتغير تغيراً جذرياً- فهي توقع في الجدار المقابل لجدار القبلة او (و) في الجدران الجانبية للمصلى (Hillenbrand, 2000, p47-498). ولم يحدث ان ظهرت علاقة مغايرة كلياً لما هو متعارف عليه في عموم طرز المساجد، كالذي سيظهر في نموذج السليمانية في الجانب العملي من هذا البحث.

تأثير عامل البيئة الثقافية والطبيعية.

لا يخفى ما لعوامل البيئة الثقافية والطبيعية من اثر على جميع المكونات التخطيطية والمعمارية للبيئة العمرانية (Alkaissi, 1988, p22). ولما كانت المساجد من العناصر والتراكيب التخطيطية والمعمارية الأساسية في بنية البيئة العمرانية فانها قد تأثرت بوضوح بتلك العوامل، ففي مساجد العصور الإسلامية الأولى اتجه الفكر المعماري نحو اعتبار الصحن المكشوف -على سبيل المثال- من أساسيات المسقط الأفقي للمسجد، لما له من دور فعال في تحقيق هذا التوافق مع المناخ وخصوصاً في المناطق الحارة، ولكنه تباين وفقاً لاختلاف مناخ المناطق، اذ انكشفت الصحن المكشوفة انكماشاً شديداً في البلاد الباردة أو الشديدة الحرارة، ومن هنا فإن الصحن تصغر كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً في بلاد الإسلام، فهي تكاد تكون أبهاء (جمع بهو) مكشوفة في مساجد البلاد العربية وإيران وشبه القارة الهندية، وتصغر أحجامها جداً في مساجد آسيا الصغرى وما وراء النهر وتركيا والبلاد

الإسلامية الشمالية (احمد، 1982، ص90). وهكذا كان لتأثير العناصر المادية (البنائية) المتوفرة في بيئة معينة الاثر الواضح في تشكيل هيئة المساجد وعمارته، ففي الوقت الذي بنيت فيه المساجد بالحجارة في اماكن توفرها -تركيا مثلا-، فإنها بنيت بالطوب في العراق وبالطين واعواد الخشب في البلاد الافريقية، وباعدة الخشب واليافه في اندونيسيا، وكان لكل من هذه المواد الاثر الواضح ليس على مظهر المسجد فحسب بل على تفاصيله التخطيطية والمعمارية كابعاد فضاءاته وشكل التسقيف ونسبه وارتفاعه وحتى تفاصيله الجمالية والزخرفية. (Holod, & Uddin, 1990, 45-56-87, 1990,

اما تأثير العوامل الثقافية فيظهر جليا في تآثر اشكال المساجد بالرموز والعناصر الثقافية لكل شعب وقومية. فالتأثيرات الثقافية الصينية على سبيل المثال واضحة في مساجدها كوضوحها في باقي عمارتها، بل ان انعكاس تفاصيل استخدام والنقوش والرموز الثقافية الهندية النابعة من عمق ثقافتها القديمة جلية وواضحة في تصاميم تفاصيل مساجدها وزخارفها. (Holod, 1990, 22-34 -67-123, 1990 Holod, & Uddin),

ومن هنا يمكن الوصول الى النقاط الاتية كملخص

لما مر:

- ان الجوامع والمساجد في العالم الاسلامي انتظمت خلف عدة طرز معروفة ومحددة، تتفق جميعها على مراعات شروط ومواصفات الجوامع في الفقه الاسلامي، من حيث تخطيط المساجد وتوقيع فعاليتها ومواصفاتها الشكلية والوظيفية.

- لا يوجد طراز محدد فيه شذوذ واضح عن الاسس والمحددات الاساسية التي تتفق عليها المساجد في العالم الاسلامي -رغم اختلاف الثقافات مكانيا وزمانيا-

الجانب العملي:

اسست مدينة السليمانية من قبل البابانيين عام (1874م) الذين عرفوا باهتمامهم بالعلوم والمعارف عموما والعلوم الدينية خصوصا. وكانت المساجد من المباني والمنشآت التي اولوها جل اهتمامهم وحددوا لها مركز المدينة، ولم يخلوا عليها من اموالهم وممتلكاتهم. (يابان، 1998، 199). وكان ذلك المسجد (الجامع) هو الاساس الذي نشأت منه بقية مساجد المدينة آخذة من ملامحه التخطيطية والمعمارية الكثير. وتشير المصادر الى ان ذلك الجامع في نموذج الاول قبل تعميراته المتعددة- احتوى الكثير من المعالم والعناصر المعمارية التي شاع -ولا يزال- استخدامها في جوامع ذلك العصر، كالقباب والمنائر واستخدام الاقواس والاروقة والتناسب المعماري لاجزائه، الشكل (شكل الجامع الكبير في الخمسينات -مجلة السليمانية) وانتشرت بعد ذلك المساجد والجوامع في عموم المدينة فلا تكاد تخلو منها محلة او زقاق.

واخذت تلك المساجد تكون شيئا فشيئا ملامح نموذج معماري لمساجد هذه المدينة، يشابه في كثير من جوانبه باقي المساجد، ولكنه يحوي -ايضا- اختلافات مهمة في جانبيه المعماري والتخطيطي، ميزت ذلك الانموذج عن باقي نماذج المساجد في نقاط وملامح مهمة ومؤثرة نورد اهمها فيما ياتي.

-وصف الدراسة الميدانية واستمارة المعلومات.

شملت الدراسة الميدانية عددا من المساجد المعروفة في مدينة السليمانية ضمن عينة عشوائية منتخبة. الغاية منها اثبات وجهة نظر البحث حول التغير الحاصل في نموذج مساجد السليمانية ومعرفة اسبابها. وشملت العينة اكثر من خمسة عشر مسجدا وجامعا. تباينت في اشكالها واحجامها وتواريخ بنائها، اذ امتد عمر بعضها الى اوائل نشوء مدينة السليمانية، في حين بني بعضها

التهوية في الجزء الخلفي من المصلى، خاصة عند اكتظاظ المصلى بالمصلين، مما يجعلها صعبة التهوية ويُعجل فساد الهواء في عموم المصلى بشكل يصعب معه المكوث في المصلى.⁽¹⁾

الاسباب المحتملة: لا يبدو واضحا اي سبب واقعي لهذا التغيير الجذري في المخطط النودجي الذي تسير عليه الغالبية العظمى من طرز المساجد، سوى ان اغلب هذه المساجد يقع جانبا القبلي على الشارع الرئيس الذي يفترض الدخول منه الى المسجد، لان المسافة التي ستبقى خلف المصلى -اذا تم سحبه باتجاه القبلة- ستكون معزولة ويصعب الوصول اليها، ولم يكن من السهل حل هذه المشكلة الوظيفية على مستوى المخطط، بسبب بساطة الحلول التصميمية التي اعدت لهذه المسألة وبدائيتها، والتي اعدت من قبل اناس بسطاء يفكرون الى الخبرة والمعرفة اللازمة لحل هذه المخططات. وكذلك فان الدخول المباشر من الشارع الى المصلى غير مرغوب به في ثقافة مجتمع مدينة السلمانية. (مقابلات الدراسة الميدانية)⁽²⁾، لذا فانهم اضطروا الى دفع كتلة المصلى الى الخلف، وتوسيع الساحة الامامية للمسجد، وبالغوا في اكثر الاحيان في دفع المصلى الى نهاية حدود ارض المسجد باتجاه الخلف، كما ولد ذلك التغيير احتمالا قائما بالاستفادة من واجهة القبلة لفتح الشبابيك فيها لدخول اشعة الشمس الجنوبية ايام الشتاء البارد. رغم مافي ذلك من نتائج سلبية كما سيظهر. اي ان بناء هذه المساجد قد قاموا بهذا التغيير محققين لحاجة وظيفية للاستجابة لمؤثر طبيعي ومستجيبين لدافع ثقافي. الا ان هذه الفوائد المستفادة قد لا تكون بقدر المشاكل والسلبيات التي قد يتسبب بها هذا التغيير.

¹ وهذا ما شكى منه المصلون اثناء المقابلات التي اجراها الباحث في الدراسة الميدانية.

² ظهر هذا بوضوح من خلال الاسئلة التي وجهها الباحث الى القائمين على شؤون هذه المساجد، حول الطرف الذي بنى المسجد وفكرة البناء، وجهة التصميم -ان وجدت- وسبب توقيع المصلى. وفوائد هذا التوقيع من وجهة نظرهم.

في اواسط الثمانينات، وهي المدة التي يحددها البحث زمتا لدراسته، وكانت جميعها ضمن مدينة السلمانية فقط، لكونها حدود الدراسة المكانية. وقد ادرجت معلومات كل مسجد في استمارة معلومات منفردة جمعت معلومات عن المسجد عموما وعن جوانبه التخطيطية والتصميمية خصوصا وعن الجوانب التي تخص موضوع البحث بشكل ادق. (انظر نسخة الاستمارة المرفقة).

أ - الجوانب التخطيطية:

ويناقش البحث فيه الجوانب التخطيطية التي تخص علاقة اجزاء المسجد الاساسية ببعضها على مستوى المخطط

1 - موقع بيت الصلاة (المصلى او الحرم) ضمن مساحة المسجد.

تتميز اغلب النماذج الاساسية للمساجد -والتي تم ذكرها سابقا- بعلاقة محددة للمصلى (بيت الصلاة) مع حدود المسجد، اذ ان في اغلبها يكون مصلى المسجد ملاصقا او قريبا جدا من الحدود القبليّة (باتجاه القبلة) من ارض المسجد بل ان جدار القبلة لمصلى المسجد يكون هو الحدود النهائية لارض المسجد ومساحته. ولكن النموذج موضوع البحث يختلف عن كل هذه النماذج اذ ان المصلى يوقّع في الجهة المعاكسة لجهة القبلة (وجدت هذه الظاهرة في 100% من نماذج العينة) مما يشكل تغييرا جذريا في الجانب التخطيطي للمسجد، اذ يغير هذا التوقيع موقع الباحة الرئيسية للمسجد ليقع امام جدار القبلة للمصلى، وهذا التوقيع هو من المميزات الرئيسية لانموذج مساجد السلمانية -المختلفة- التي يخصصها هذا البحث بالدراسة.

ضعف التهوية في المصلى: يتسبب وقوع

المصلى في الجانب الخلفي من المسجد وملاصقا لحدود ارض المسجد الخلفية يتسبب بعدم امكانية احداث فتحات التهوية والاضاءة في الجدار الخلفي للمصلى ولا في الجدران الجانبية وتقتصر فتحات التهوية على جدار القبلة لوقوعها على الباحة الامامية، وهذا يشكل مساحة ساكنة من ناحية

2 - موقع الباب الرئيسية للمصلى.

تقع الابواب الرئيسية للمصلى عادة في الجدار الخلفي (المقابل لجدار القبلة) او في احد الجدارين الجانبيين للمصلى. الا ان الابواب الرئيسية في نموذج مساجد السلیمانیه تقع في جدار القبلة لتفتح مباشرة على الباحة الامامية والرئيسية للمسجد او تفتح احيانا على مصلى مسقف شبه مغلق او مغلق تماما - احيانا- ومنه تفتح على باحة المسجد الرئيسية. وتكون بذلك المدخل الرئيس للمصلى، وظهرت هذه الصفة في جميع نماذج العينة اي بنسبة 100% من العينة (لاحظ الشكل 6) والمخطط (في الشكل 8). وقد تبين من الدراسة الميدانية ان الاسباب الاولية لهذا التغيير في نمط تسقيط الابواب هي نتيجة مباشرة للتغيير السابق (تغيير موقع المصلى) اذ ان ذلك التغيير لن يُبقي مكانا يمكن فتح الابواب منه -او اليه-، الا جدار القبلة -في اغلب الاحيان-، ويتسبب هذا المدخل الامامي بمجموعة من التأثيرات يمكن ايجازها فيما ياتي:

أ - **تخطي الرقاب:** وتعني قيام المصلي بتجاوز الصفوف للوصول الى مكان صلاته. ويحصل عادة -في المساجد الاعتيادية- حين يتجاوز المصلي صفوف الصلاة الواحدة تلو الاخرى حتى وان توفر له مكان في الصفوف الخلفية -اي قرب المدخل الخلفي للحرم- وهذا يسبب الاذى لباقي المصلين الجالسين في الصفوف الاولى في المصلى وهو منهي عنه بشدة في نصوص الاحاديث نبوية شريفة متعددة (سابق، 1993، ص183، ص224). وفي نموذج مساجد السلیمانیه الذي يكون المدخل فيه من جدار القبلة مما يجبر جميع المصلين على تخطي الرقاب المعكوس، مما يدفع بالمساجد بترك مسافة حركة تزيد على المتر من المدخل الى اخر المصلى ليسمح بمرور المصلي في اي وقت.

- **شغل المصلين:** حيث ان الحركة الامامية للمصلين - بسبب دخولهم من امام المسجد (جهة جدار القبلة)- يولد حركة امامية وجانبية عند دخول اي شخص الى المصلى وويثير انتباه المصلين ويشغلهم عن صلاتهم. كما ان وقوع المصلى في الجزء الخلفي من ارض المسجد يجعل واجهة القبلة الواجبة الوحيدة التي يمكن للمصلى ان ياخذ الاضاءة

والتهوية منها عبر الشبابيك التي يكثر فتحها في ذلك الجدار للاستفادة من الانارة الجنوبية النافعة في ايام الشتاء خصوصا. (انظر الشكل 1) وهذه الفتحات والشبابيك تزيد من امكانية شغل المصلين عن صلاتهم بسبب امكانية رؤية ما يجري خارج المسجد من داخل الحرم. فضلا عن الاصوات الخارجية التي تدخل من هذه الشبابيك المظلة على اكثر الفضاءات فعالية (الساحة الامامية) من الخارج، وعلى اكثر صفوف الصلاة اهمية وازدحاما (الصفوف الاولى) من الداخل. علما ان المصادر المعمارية المتخصصة تدعو بوضوح الى عدم فتح الشبابيك في جدار القبلة الا للضرورة وفي حدود معينة. (حسن، 1999، ص10)

- **المساحة الجانبية الفارغة في الحرم:** وهي مسافة تترك عادة من الجهة التي توجد فيها الباب (باب المصلى) وتستمر الى نهاية الحرم، ووظيفتها تكوين ممر سالك يخترق جميع صفوف الصلاة بعرض متر الى مترين. ومساوئ هذا الممر هو انه يقتص مسافة من مكان الصلاة في المصلى. على امتداد الحرم. مقللا من استيعابية الحرم للمصلين. وكذلك فان هذا الفراغ سيقطع جميع الصفوف ويجعلها ناقصة وهذا منهي عنه في الاحاديث الشريفة والنصوص الشرعية (سابق، 1993، ص124-). ومشكلا مسارا للحركة اثناء صلاة الجماعة في قلب المصلى والذي يزيد من الحركة داخل الحرم في وقت ومكان يعد السكنون فيه من اهم متطلبات وظيفة ذلك الفضاء.

- **مشكلة اكتظاظ المسجد:** في الانماط الاخرى من المساجد، عندما يمتلئ المصلى بالمصلين فان صفوف الصلاة تمتد الى الباحة الخلفية للمسجد من الابواب الخلفية وتتكون الصفوف من جديد خلف الحرم. الا ان هذا غير ممكن في مصليات نموذج مساجد السلیمانیه، اذ ان كون الباب في الجانب الامامي الذي يقع فيه المحراب (في جدار القبلة) فان ذلك يمنع اي امكانية توسيع او امتداد لصفوف الصلاة -اثناء قيام الصلاة- وذلك بسبب كون الامام واقفا في المحراب الذي يقع في الجدار الامامي للمصلى والذي تقع فيه الباب، ولما كان وقوف المصلي امام الامام اثناء صلاة الجماعة يبطل صلاة الماموم، فان ذلك يمنع المصلين من اقامة الصفوف خارج

المساجد. ففي مسجد محمد صالح البوسكاني وقّع بيت الصلاة في اخر ارض المسجد محشورا في زاوية مية في حين وقعت قاعة المناسبات في مقدمة مساحة المسجد باتجاه القبلة.. (الدراسة الميدانية). ومن امثلة رفع المصلى مسجد الحاج جمال في شارع سالم ومسجد النقشبندي على الشارع الثلاثيني اذ وقع المصلى في كليهما في الطابق الاول ليضطر المصلين الى الصعود اليه مسافة اكثر من اربعة امتار لاداء كل فرض -خمس مرات في اليوم- في حين وقعت قاعة المناسبات في الطابق الارضي في موقع يسهل الوصول اليه دون عناء) **(الشكل 2)**. وهذا دليل واضح على تأثير القيم والتقاليد (التي

ليس لها اساس ديني على هذه الشاكلة) على تخطيط وعمارة المساجد في السلمانية (الفرضية الاولى للبحث). ومن جهة اخرى اثبات بان تاثيرات هذه التغيرات التي تسببها التاثيرات الثقافية والطبيعية في عناصر المساجد التخطيطية والمعمارية. ليست بالضرورة ايجابية. بل انها تسبب مشاكل يفوق تاثيرها النتائج الايجابية لهذا التغيير.

4 - **اختفاء او تغيير موقع عناصر تخطيطية اساسية من المسجد:**

اختفت من نموذج مساجد السلمانية -موضوع البحث- مجموعة من العناصر الاساسية بشكل شبه كامل = لم تظهر في اي من نماذج العينة المختارة في الدراسة العملية= ومن امثلتها الرواق المسقف الذي يربط اجزاء المسجد من الخارج ببعضها. في حين تغيرت اماكن -مواقع عناصر مهمة اخرى بشكل مثير للانتباه ، فقد تغير موقع الباحة الرئيسية للمسجد الى امام جدار القبلة والذي هو موقع نادر جدا ان لم يكن معدوما في اي نمط من الانماط الاساسية للمساجد في العالم الاسلامي. ومن جانب اخر ظهر رواق مسقف عريض امام المصلى من الجانب القبلي. وهو رواق مسقف ومفتوح تماما من جميع الجوانب -عدا جهة المصلى الملاصق له- ويكون في بعض الاحيان مسدودا بستائر زجاجية من الجوانب الثلاث الاخرى، لتستخدم كمصلى اضافي في بعض الاحيان **(انظر الاشكال 2)** وفي هذه الحالة (التي تسمى بالرواق المزجج) فان امكانية وصول

المصلى -لان المكان الوحيد لذلك هو الباحة الامامية للمسجد- والذي لاتجوز اقامة صفوف الجماعة فيه لتقدمها على الامام. وهذا يسبب حرجا كبيرا في تلك المصليات ويقلل بشدة من الكفاية الوظيفية والمكانية للمصلى.

ومما مر يتبين ان فتح الباب الرئيسية للمسجد في جدار القبلة يسبب الكثير من المشاكل والمخالفات الصريحة لتوايت وظيفة المسجد المادية والمعنوية. وان الجوانب الايجابية الظاهرة القليلة لاتبدو كافية لتبرير كل هذه المشاكل الوظيفية والاعتبارية والدينية في المسجد.

3 - **موقع المرافق الخدمية والثانوية نسبة الى المصلى في المسجد.**

تشمل هذه الخدمات مجموعة من الوظائف اهمها:

1 - **المرافق الصحية واماكن الوضوء** والتي تسقط في اغلب مساجد السلمانية في اماكن غير ملائمة كان تكون في الباحة الامامية (التي تقع امام المصلى) مما يقلل من الاهمية المعنوية والوظيفية لباحة المسجد وكذلك للمصلى الذي يطل عليها(كانت نسبة 70% من العين مسقطة على الباحة مباشرة). او عند مدخل المسجد. **(لاحظ الشكل 7)** (60% منها كانت قريبة جدا من المدخل او على المدخل مباشرة). وبشكل غير لائق بمدخل دور العبادة. او توقع في اماكن غير ملائمة من ناحية حركة الهواء والرياح السائدة مما يدفع بالروائح والابخرة الغير مرغوبة بالنفوذ الى داخل المسجد وامتدادها الى المصلى الخارجي وحتى الداخلي (بيت الصلاة). **(3)**

2 - **قاعة المناسبات:**

وهي من العناصر المهمة والاساسية في نموذج مساجد السلمانية التي لايكاد يخلو منها مسجد او جامع الا ما ندر. وتستخدم تلك القاعات لمجالس العزاء حصرا ولاتستخدم لغيره الا نادرا. والمثير للانتباه في ذلك انها في كثير من المساجد تاخذ موقعا مهما ومركزيا في تخطيط المسجد لا يقل عن اهمية بيت الصلاة بل وتفوقها اهمية في عدد غير قليل من

³ كما ظهر بوضوح خلال المقابلة الشخصية للباحث مع

المصلين في اكثر من ثلث نماذج العينة.

- العناصر المعمارية في المساجد:

من ملاحظة عناصر العينة المختارة في الدراسة الميدانية لمساجد السلطانية يظهر بجلاء ان هذه المساجد - على الاغلب- افتقرت الى ابسط العناصر الشكلية المعمارية التي تعرف بها المساجد في المنطقة، والتي تفرقها عن غيرها من المباني المجاورة. كالقباب والمناير والاروقة والاقواس. اذ بلغت نسبة المساجد الخالية كلياً من هذه العناصر في العينة 65% والتي تخلو من عنصري المنارة والقبّة 79%. وحتى ان مباني المساجد قد شيدت وفق مقاييس تقترب من مقياس الدور السكنية او المباني الاعتيادية، خصوصاً من حيث ارتفاع مصلى المسجد. (انظر الشكل 3). كما وازيفت احياناً عناصر تزيينية غريبة عن العمارة المحلية وبشكل شاذ وناشر زاد من الاريك الشكلي الموجود في عمارة المسجد (انظر الشكل 5). واما في العمارة الداخلية للمساجد فيمكن رؤية الحالة ذاتها، اذ ان عناصر اساسية مثل المحراب والمنبر وعناصر التصميم الداخلي الزخرفية ومقياس فضاء المصلى والسقوف الثانوية وتصميم تقطيعات النوافذ والشبابيك كلها قد اضيفت الى المسجد بصورة شبه عشوائية ودون اية مراعات للقيم الجمالية المعاصرة او لخصوصية المساجد التصميمية والمعمارية. (لاحظ الشكل 5). وبشكل عام يمكن القول ان هنالك مبالغة في اهمال العناصر المعمارية المميزة للمساجد في مساجد السلطانية، واختفاء اية لمسة تصميمية او ترتيبية في العناصر الشكلية لنماذج العينة، لدرجة افقد هذه المساجد خصوصيتها المعمارية والوظيفية وجعلها -اي هذه المساجد- اقرب ما تكون الى المباني السكنية، ولا يمكن للملاحظ ان يميزها عن مجاوراتها من المباني، او عن اي مبنى اخر (لاحظ الشكل 4). ولا يمكن القول بان هذا الاهمال جاء من باب التزهّد في المظاهر المادية -كما توصي الاحاديث النبوية الشريفة، اذ ان اغلب المساجد تحوي الكثير من المخالفات الصريحة للنصوص الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة، او انها تحوي مظاهر الصرف والبذخ في غير محلها، ودون اي وازع او حاجة، في حين كانت العناصر المعمارية الاساسية اكثر

الهواء المتجدد الى داخل الحرم(المصلى) تقل كثيراً او تصبح معدومة مما يزيد من مشكلة التهوية داخل المصلى. (ظهرت هذه الاروقة الامامية(في الجهة القبليّة من المصلى امام المحراب من الخارج) في جميع مساجد العينة اي بنسبة 100% وكانت نسبة الاروقة المزججة 55%).

ب - الجوانب المعمارية.

1 - اختفاء العناصر الشكلية المعمارية الداخلية والخارجية في المسجد واهمال الجانب الشكلي عموماً.

- انخفاض سقف المصلى:

وهذه الصفة من الصفاة المثيرة للانتباه والملازمة لاغلب المساجد في نموذج مساجد السلطانية -ان لم يكن في جميعها- اذ اتسمت بها حوالي 75% من نماذج العينة. وهي في بعض النماذج منخفضة بشكل يؤثر بوضوح على وظيفة مصلى المسجد. (4) اذ تزيد هذه الصفة من التأثير السلبي للصفات السلبية الاخرى للمساجد كالاختناق الهوائي الحاصل في الحرم بسبب سوء تخطيطه وتوقيعه كما مرّ. كما انها تشكل تناسباً غير ملائم، اذ ان اغلب المصليات تكون بمقاييس مخططات كبيرة تتسع لعدد كبير من المصلين يغطي مساحتها الكبيرة سقف منخفض لتشكل فضاءً مشوهاً ذي تأثير سلبي على مستخدم ذلك الفضاء. (انظر الشكل 3) وقد يبدو ان للجانب الاقتصادي دوراً في ذلك، الا ان وجود عناصر مترفة وباذخة وثانوية صرفت مبالغ كبيرة تشي (من الوشاية) بقلة تأثير هذا العامل في احداث هذه الصفة.

⁴ بلغ ارتفاع مصلى المسجد من الداخل - اقل من ثلاثة امتار في مصلى مسجد النقشبدي الذي يتسع لاكثر من سبع مائة وخمسين مصلياً! و اشار بعض المصلين الى ان الصلاة داخل المسجد تصبح شبه مستحيلة عند اكتظاظ المصلى بسبب اختناق الهواء وفساده المتسبب من تصميم المصلى وانخفاض سقفه. (المصدر: الباحث، الدراسة الميدانية)

الجانب بحاجة الى المزيد من الدراسة والبحث للتعرف على الاسباب الحقيقية وراء هذه الظاهرة ومثيلاتها في عمارة المدينة عموماً، وعمارة المساجد خصوصاً. ومما مَرَّ في النقاط الخاصة بتوقيع المصلى وابوابه، يتبين ان اغلب المشاكل التخطيطية في المسجد والمتاتية عن تغيير موقع المصلى متولدة عن كون المسجد يوقع غالباً (80% من عناصر العينة) على الشارع من الجانب المقابل للقبلة، اي ان الشارع يحُدُّ المسجد من اتجاه القبلة. ورغم البحث والتقصي لم يجد البحث سبباً لهذا الاختيار المتكرر لقطع الارض القبليّة التوجيه (اي الموجهة نحو القبلة) للمساجد -من قبل المتبرعين بنائها- سوى كون هذا الاسلوب تقليداً في الثقافة التخطيطية البسيطة في المجتمع، اذ تبين من الاسئلة الموجهة في المقابلات المباشرة ان جميع المستجوبين يفضلون اتخاذ قطع الاراضي القبليّة التوجيه لاقامة المساجد عليها. وقد يعود هذا الى عمق تأثير الثقافة الريفيّة ايضا، اذ ان المساجد في القرى -كما اكد المستجوبون- توقع دائماً في مناطق مفتوحة من جانب القبلة، علماً ان هذه الظاهرة لاتشكل مشكلة في المساجد الريفيّة لوفرة الاراضي وامكانية فتح النوافذ والابواب على جوانب المصلى الاربعة⁽⁸⁾.

الاستنتاجات والتوصيات:

أ- الاستنتاجات:

- 1 - احتوت مساجد السليمانية على مجموعة من السمات التخطيطية والمعمارية المحددة التي تميزها عن اغلب الطرز المعمارية للمساجد في العالم.
- 2 - تغيرت مميزات المساجد في السليمانية بسبب التأثيرات المتكاملة للبيئتين الثقافية والطبيعية، اذ اثرت عوامل البيئة الطبيعية في توليد مشكلة معينة، ومن ثم حددت عوامل البيئة الثقافية اسس حل تلك المشكلة التخطيطية او المعمارية.
- 3 - كان لتاثير القيم الثقافية النابعة والمستقاة من اساليب الحياة والسلوكيات العمرانية القروية والريفية المتصلة

ضرورة واهمية⁽⁵⁾ وظهر من خلال المقابلات الشخصية للباحث مع عدد من القائمين على شؤون هذه المساجد والمتبرعين بنائها بانهم اشاروا الى ان بناء مكان بسيط لاداء فريضة الصلاة كان الهدف الاساس لهم. ولم يروا ضرورة استشارة مختص في التصميم (معماري مثلاً) لوضع مخطط لمسجد وتفاصيله. وانهم هم من قام بوضع تلك المخططات وفقاً لخبرتهم! - ومحاكاةً لمساجد اخرى موجودة في بيئتهم⁽⁶⁾. وظهر من الدراسة الميدانية ان اكثر من 90% من مساجد العينة لم تصمم او تخطط من قبل مهندس معماري او اي مهندس اخر او اية جهة مختصة! ويرى البحث في هذا الجانب ان سبب هذه الظاهرة هو سبب ثقافي بحت، وتفسيرها هو ان سببها هو على الاغلب امتداد تاثير القيم الثقافية النابعة والمستقاة من اساليب الحياة والسلوكيات العمرانية القروية والريفية البسيطة المتصلة لدى السكان والتي لاتزال متجذرة في مجتمع مدينة السليمانية، اذ انها مدينة فنية نسبياً، لايزيد عمرها عن قرنين بكثير، وان اغلب الوافدين اليها هم من البيئات القروية والريفية والذين نزحوا اليها لاسباب متنوعة لها علاقة بتاريخ المنطقة الديموغرافي والسياسي (بابان، 1998، ص68). علماً ان الوافدين من المناطق الريفيّة هم اكثر المهتمين ببناء المساجد لقوة تاثير العامل الديني فيهم من سواهم من سكان المدينة الاصليين⁽⁷⁾. ولا يخفى ان هذا

⁵ احتوت بعض المساجد -داخل مصلياتها- على صور ومعلقات لاعلاقة لها بوظيفة المسجد الدينية او التربوية، كصور شخصيات قومية او دينية او صور لمبانٍ واشكال لايجوز تعليقها -وفقاً للنصوص الشرعية- في المساجد باي شكل من الاشكال. لاحظ الاشكال (6 و 5).

⁶ مقابلات شخصية للباحث مع القائمين على شؤون المساجد والمتبرعين ببناءها.

⁷ ينحدر اغلب سكان مدينة السليمانية من اصول قروية هاجروا اليها لاسباب متعددة، ناقلين معهم مكونات الثقافة الريفيّة التي تعودوا عليها. ولما كانت القرى الكردية تحوي في غالبيتها العظمى على مساجد - وللقرية هو اكثر بطبيعة الحال من تاثيرها في المجتمع الحضري، ناهيك عن التقاليد العشائرية والقومية لسكان القرى والتي تعطي جانب التمسك الديني اهمية كبرى في الحياة الاجتماعية للشخصية الكردية عموماً والقروية خصوصاً (بابان، 1998، ص68-78). (جلال، 2009،)

⁸ مقابلات الدراسة الميدانية.

- 3- تحديد استخدام وتنفيذ طراز المساجد التي تتصف بوقوع المصلى الرئيس في الجزء الخلفي من المسجد لما فيه من المشاكل الوظيفية والشكلية.
- 4- يوصي البحث باجراء المزيد من الدراسات حول اصول طرز المساجد في اقليم كردستان العراق عموماً والسليمانية خصوصاً لما تنفرد به من المميزات التصميمية والتخطيطية الخاصة.
- 5- يوصي البحث باجراء دراسة موسعة في عموم اقليم كردستان للتعرف على الطرز المنتشرة للمساجد في لمنطقة وخصوصاً الطراز المحدد في هذا البحث.

- لدى السكان اثر كبير في توجيه عمارة المساجد وتخطيطها في مدينة السليمانية.
- 4 - اغلب التغييرات التي حدثت في مساجد السليمانية - والتي تميز طرازها الان- سلباً على مجمل وظائف المسجد ومن جميع النواحي الدينية والاجتماعية والمادية.
 - 5 - هناك تاثيرات ايجابية بسيطة للميزات الخاصة بمساجد السليمانية الا انها لاتقارن بالتاثيرات السلبية لهذه المميزات والتغييرات.
 - 6 - ظهور الاهمال وعدم الاهتمام بالجوانب المعمارية والتخطيطية في مساجد السليمانية سواءً من قبل (الجهات غير الحكومية) القائمين على بنائها، والجهات الحكومية (وزارة الاوقاف)، والذي بدا واضحاً في جميع مظاهر المساجد الداخلية والخارجية.

- 7 - عدم ظهور معالم عمارة محلية في طراز جوامع السليمانية، رغم وجود اسس معمارية لعمارة محلية ذات طابع اسلامي كان من الاولى ان تظهر في مساجد المدينة بصورة اوضح من باقي مبانيها.

2-التوصيات:

- 1- قيام الجهات المعنية (وزارة الاوقاف، بلدية السليمانية، نقابة المهندسين) والتي هي الجهات المسؤولة عن اعطاء تراخيص بناء المساجد في السليمانية بمنع اقامة اية مساجد لاتخطط وتصمم من قبل جهات او اشخاص ذوي اهلية وتخصص وخبرة متكاملة بجميع متطلبات المساجد المعمارية والدينية.
- 2- محاولة الجهات المعنية -المحددة اعلاه- حل المشاكل المعمارية والتخطيطية المتركة في الطراز المدروس في هذا البحث ، لتقليل التاثيرات السلبية في هذا الطراز على النواحي الوظيفية والشكلية في المساجد.

6 - جلال، شازاد جمال، نظام المستقرات الحضرية في كردستان العراق، مجلة المخطط والتنمية. ع، 2008.

7 - سابق، السيد. فقه السنة. م1، ط10، القاهرة: الفتح للإعلام العربي، 1993م.

8 - عبد الفتاح ، احمد " انواع المساجد " مجلة البناء ، العدد الأول- 1979

9 - مؤنس، د.حسين، المساجد ، عالم المعرفة، الكويت، 1982، ص95 .

10-Alkaissi, S.M, "The Influence of Natural and Cultural Environment on the Fabric of the City, With Special Reference to Iraq", "unpublished" Ph.D. Thesis, Sheffield University.1983.

11-Hillenbrand, Robert, Islamic Architecture, form function and meaning, The American University in Cairo, Cairo Egypt. Univ. press.2000,

12-Holod, Renata & Uddin Khan, Hasan. The Mosque and the Modern World, Architects Patrons and Design since the 1950s. univ. prs. NY.1990

المصادر:

1 -الناجم، علي عثمان و المفيز، ابراهيم عبدالله، "أهمية فناء المسجد في البيئه العمرانية الحديثة" ص11.المؤتمر الهندسي السعودي الخامس ذو القعدة 1419 هـ ،الموافق مارس (1999) ، كلية الهندسة والعمارة الاسلامية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.

2 - الوكيل ، عبد الواحد، التصميم المعماري للمساجد، البناء، السنة السادسة، العدد34 (ابريل مايو-1987).

3 - البراهيم، محمد حسين، تطور عمارة المسجد في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العلوم الهندسية، م8، 1416هـ/ 1996

4 - بابان،جمال، السليمانية مدينتي المزدهرة، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1998.

5 - حسن، د. نوبى محمد ، خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد، بحث منشور في: ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، 30 يناير - 3 فبراير 1999م.

يتبع الملاحق والاشكال رجاء..